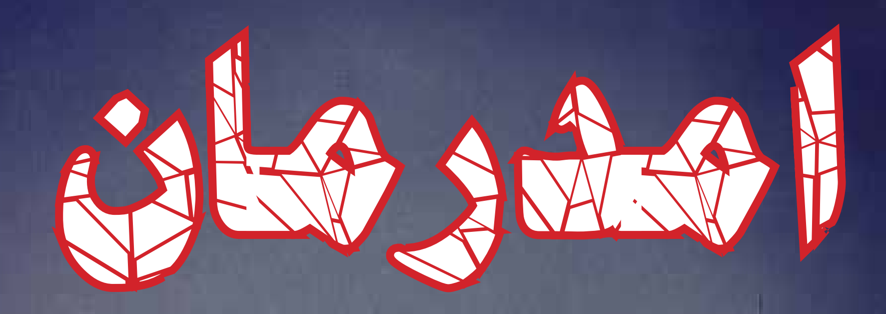


إعداد
على النور الجريفاوي

مدينة تحت الماء

... اني اغرق

انا امدرمان انا السودان
انا الدر البزبن بلدي
وانا البرعاك سلام وامان
انا البفداك ياولدي
انا امدرمان
لسان حالك واريتك
تدري بحالي
انا القدرت احوالك
وحبك بدري اوحالي
اقوم باعظم الادوار
واكون الساحة للثوار
وابقي البقعة للاحر
وامثل عزة السودان
انا امدرمان سليلة السيل
قسمت الليل وبنت صباح
انا الولدوني بالتهليل
وهلت فوقي غابة رماح
اناالطابية المقابلة النيل
وانا العافية البشد الحيل
انا القبة البتضوي الليل
وتهدي الناس
سلام وامان
انا امدرمان نصرت الدين
وكنت فداية للاسلام
وروحوحولي ناس صادقين

فناهم في حياتي غرام
وزانو المبدأ والفكرة
وخلدو اعظم الذكري
ودخلو المدرسة الكبري
ونالو شهادة الايمان
انا امدرمان انا الامة
وصوت الامة واحساسه
انا التاسئسه بي تم
وانا اللميت شتات ناسا
مزجت شمالا بجنوبا
وسكبت شروقا في غروبه
وزرعت الطيبة في دروبا
وطابت عزة للاوطان
انا امدرمان سقاني النيل
رحيف العزة من كاسو
انااللي مجدو كنت دليل
واية وحدة لناسو
انا الفي الشاطئ الغربي
سقوط غردون مهر حربي
انا النيل الطلب قربي
ومزج بين كافة الالوان
انا امدرمان
انا الواحة
وري البسقي والعطشان
بروقي تضوي لواحة

وتهدي الساري والضهبان
وردو وشدو فوقي الناس
ونادو بقية الاجناس
وللتعمير بقيت مقياس
للتقدير بقيت ميزان
انا امدرمان مهيرة الميس
اصيلة ومرسوني رجال
قلادتي القدرة والتقديس
وارادتي تسابق الاجال
اجلب فوق ربوع داري
ونفس تنافس اقداري
اريتم مسداري
ويخلو زمامي للفرسان
انا امدرمان دا ميلادي
وميلاد البشيل اسمي
انا القدمت اولادي
شرافة وسيف علي وسمي
وكنت القوة والحولة
وحزت وفزت بالجولة
وشلت الراية والدولة
وفي التاريخ
بقيت عنوان
انا امدرمان

كلمات الشاعر الراحل
عبد الله محمد زين

مقدمة الكاتب

يعجز قلمي ان يكتب عن امدرمان وذلك ليس لعجز في القلم او قِصْر في الموضوع ولكن لعشق تلك المدينة البكر، فكما قيل في القدم (حبك للشي يعمي ويصم) فالحب الزائد قد يجعل العاشق الولهان لا يرى مساوي او سلبيات معشوقه ذلك العشق الذي يجعل العاشق عاجز عن التعبير عن مدي حبه ومكنون دواخله.

ولكن حبنا لمدينة امدرمان مختلف ما جعلنا حتي لا نرى حسنها وجمالها ناهيك عن مساويها وما يحيط بها من اذي جسيم واهمال في هذه الايام وهذا ليس لقصور من ابنائها او عيب بها ولكن لظروف ربما بعضها او جُلها سياسي او لاسباب اخري.

فقد جعلت منها هذه الظروف تلك العجوز التي فقدت شبابها وبدأت عليها معالم الشيخوخة وعلى الرغم من ذلك فان ملامح الجمال ما تزال تتربع على قوام تلك العجوز لتعلن بان ماضٍي تليد قد أفل نجمه فازدادت جمالاً ورونقاً في عيون عشاقها الذين ما يزالوا يعشقون ارضها ومائها.



على النور على النور
الجريفاوي

تلـك هـي مدينـة امدرمـان مـاضٍ تليـد قديـم بتاريخهـا وحضـارة ضربـت جزورهـا اعـماق الارض وارتفعـت لعنـان السـماء فلمـع نجـم مدينـة امدرمـان وحضارتهـا في وجـوه اهلهـا لـترى فيهـم التميـز .. وليـس لعنصريـة ابتدعوهـا ولكـن لاخـلاق وقيـم كانـت هـي العنـوان الـذي يُكتـب عـلى جباههـم حتـي لا يضـل اهلهـا ولا يشـقى ابناءهـا.

فجـمال الاخـلاق وحسـن المعـشر هـم الصفـة المميـزة عـلى الرغـم مـن الفقـر والافتقـار الـذي يعانيـه اهلهـا حتـي انـك تحسـبهم اغنيـاء مـن التعفـف، الا ان هـذا لم يغـير مـن خلقهـم شي فالتميـز بالاخـلاق هـو العنـصر السـامي والمعـدن النفيـس الـذي تـربي بـه ابنـاء تلـك المدينـة ... سـوف تظـل معـالم مدينـة امدرمـان راسـخة تحـكي عـن قصـة لم تكتمـل فصولهـا الى ان يـرث اللـه الارض ومـن عليهـا.

فالـذي دفعنـي ان اكتـب عـن امدرمـان وحـرك قلمـي الـذي عبأتـه بدمعـي السـخين حينـما وصلتنـي صـور عـبر وسـائل التواصـل الاجتماعـي عـن مـا تعانيـة مدينـة امدرمـان مـن ظاهـرة المبـاه التـي انتـشرت لتعـم مجموعـة مـن الاحيـاء القديمـة في تلـك المدينـة المحبوبـة.

صـور تعـبر عـن حجـم المشـكلة ومـدي اسـتفحالها ودرجـة الاهمال الـذي تعانيـه تلـك المدينـة واحيائهـا المتهالكـة والمتماسـكة في نفـس الوقـت ببركـة اهلهـا ودعواتهـم الصالحـة.

٢٣ نوفمبر ٢٠١٧م
القاهرة

انــي اغـــرق

امدرمان

تهتـف بأعـلى صوتهـا كـما هتـف عبـد الحليـم حافـظ مــن قبــل بكلــمات الشــاعر نــزار قبــاني «إني أتنفــس تحــت المـاء إني اغــرق» ولكــن شــتان مابــين هــذا وذاك فنــزار قبــاني غريــق عشــق وحســن وجــمال.

فأمــا مدينــة امدرمــان القديمــة تغــرق تحـت مـاء مجهولـة المصـدر غـير معلـوم مجراها ومنبعهـا.

وأهلهـا يغرقـون كذلـك في عشـقها كلـما مـضي بهـم الزمـان وتقـدم الدهـر تـزداد تلـك المحبـة وعندمـا يفـارق أبنائهـا أرضهـا يخالجهـم ذلـك الشـوق والحنـين إلي بيوتهـا المشـيدة مـن طـين اختلــط بعــرق جباههــم وامتــزج بــدم عروقهـم ولا تفـارق رائحـة ترابهـا إنـوف أبنائهـا حينـما يداعبـه رزاز مـن مطـر ورغـم مـا امتـزج بـه مـن روائـح الفسـاد والتغيـير التـي اذكمـت أنــوف بنــي الســودان.

مدينــة اختصهــا الخالــق بــشي مــن ســحر داخـلي لا يعرفـه إلا مـن تـربى في كنفهـا وترعـرع في حواريهـا وتـشرب مـن حنينهـا، ومنـذ نعومـة

امدرمان تستنجد

أظافرنا ونحن أطفال نلعب بترابها يتولد ذلك الارتباط مابين الأرض والإنسان ليصور لوحة حب ابدي.

وحينما تلفحك شمسها الحارقة لكي ترسم على جباهِنا معالم ذلك التاريخ والعشق الدفين متربعا على وجه الزمان ...

ذلك العشق الذي امتد عبر الأجيال فصار موروثاً ضمن ثروات مواتها والتي لم تورثنا قصور فاخرة أو رياض غناء بل أورثونا الخُلق الحميد والقناعة التي هي كنز لن يفني.

.... تلك هي مدينتي امدرمان ...

امدرمان تحتاج إلي أهلها وأبنائها أن ينقذوها من طوفان التوغل والجور الذي أصابها على الرغم من إمكانياتهم المتواضعة وضعف حيلتهم إلا أن التفافهم حولها قد يخفف عنها هول المُصاب.



مبني وساعة البلدية بامدرمان

حجم المأساة

امدرمان تستغيث

بداية المشكلة تكمن في ظاهرة المياه السطحية التي تطفوا على سطح وجدران المنازل في معظم أحياء امدرمان القديمة والأحياء التي أصبحت مهددة بصورة مباشرة (بيت المال – ابوروف - الملازمين – حي القلعة – ودنوباوي – ود البناء – السيد المكي - العمدة – حي البوسطة – العباسية – الدباغة والكبجاب والخ ...)

وتضم مدينة امدرمان القديمة مجموعة من الأحياء ذات الطابع التقليدي في طراز البناء الذي يعتمد على الطين كمادة أساسية في تشيد معظم المنازل والتي يرجع تاريخها إلي أمد قديم.

وحتى هذه اللحظة لم يعرف تاريخ وبداية الظاهرة ويرى سكان حي بيت المال بان المشكلة بدأت في العام ٢٠١٢م واستفحلت حتى أصبحت هاجس يخوف أهل وسكان الأحياء القديمة في مدينة امدرمان والتي بلغت حجم التهديد ويرجح معظم سكان الأحياء القديمة إلي أن بداية الظاهرة بدأت في حي بيت المال وابوروف وسرعان ما امتدت

إلي الملازمـين وانتقلـت إلى الأحيـاء المجـاورة.

كارثـة بيئيـة بـكل مـا تحمـل الكلمـة مـن معنـي تهـدد المنطقـة تحتـاج إلى عـلاج ناجـع ومـدروس وليـس مجـرد أنصـاف حلـول موقتـه ومسـكنات تزيـد مـن اصـل المشـكلة.

تتمحور المشكلة في الأتي :-

١. ميـاه عذبـة تغمـر الأحيـاء القديمـة مـن امدرمـان وتنبـع مـن باطـن الأرض وتتـسرب لتصيـب جـدران المنـازل مـما يسـبب تصـدع في أسـاس المنـزل وربمـا إلي الانهيـار ويرجـع السـبب حسـب رويـة بعـض المواطنـين إلي تفـكك شـبكة الميـاه القديمـة أو ربمـا إلي تسريـب ميـاه الـصرف الصحـي في الأحيـاء.

٢. انهيـار جـزئي وكلي لعـشرات المنـازل وسريـان هـذه الميـاه داخـل المجـاري المخصصـة للخريـف بصـوره مسـتمرة وهـذه الميـاه لاتصـل إلي النيـل وذلـك لان معظـم المجـاري مغلقـة بسـب النفايـات وكذلـك قـد أدت العمليـات الانشـائيه لشـارع النيـل بقفـل كل المنافـذ التـي تـودي بعبـور الميـاه السـطحية إلي النيـل مـما أدي إلي تأثـر الشـوارع الرئيسـية والفرعيـة والميادـن بشـكل كامـل.

٣. توالـد كميـات كبـيرة مـن الحـشرات الضـارة مثـل النامـوس والذبـاب والباعـوض الـذي يـودي إلي أمـراض وكـوارث صحيـة ربمـا تزيـد مـن حجـم المشـكلة وقـد تـؤدي إلي كارثـة بيئيـة بمعنـي الكلمـة.

٤. انتشـار الحشـائش والأشـجار الضـارة في الشـوارع وداخـل المنـازل وتأثـير ارتفـاع الميـاه في كافـه أبـار الـصرف الصحـي مـما أدي إلي تكلفـه

متزايدة في عمليات شطف المياه مما زاد الأعباء المعيشية لكافه أهالي المدينة القديمة.

٥. الأثر الصحي والبيئي وكذلك النفسي والمعنوي لسكان امدرمان القديمة والذي صاحبه الانخفاض في القيمة السوقية للعقارات في المنطقة علي الرغم من موقعها المميز.

صور توضيحية :-



الصورة توضح حجم الضرر الذي اصاب المنازل في حي القلعة والاحياء المجاورة له



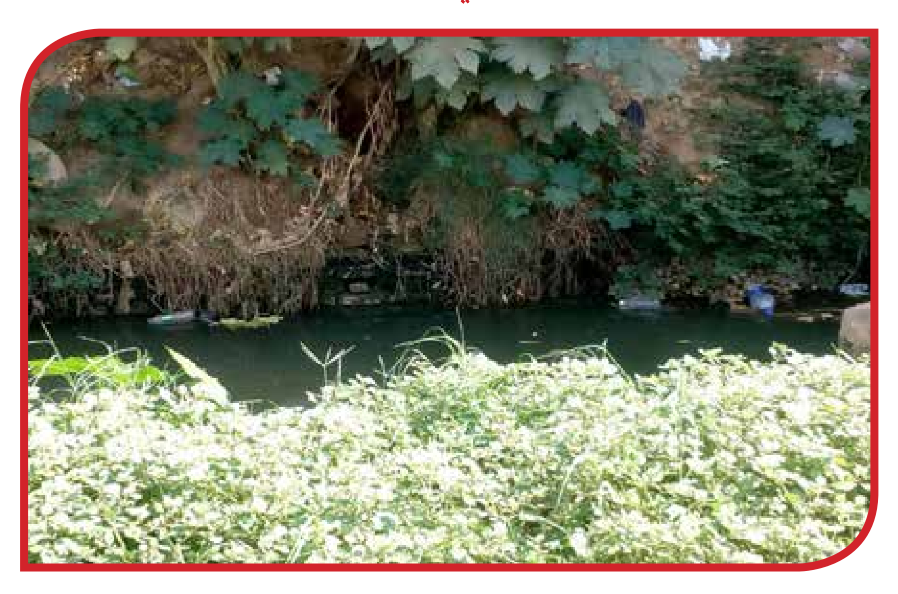
انهيار بعض المنازل في منطقة ابوروف وبيت المال



انهيار كلي للمنازل في منطقة ابوروف وبيت المال



امتلا المجاري بالمياه الملوثة



نمو الحشائش وتوالد الحشرات



انهيارات تامة للمنازل وتشرد اهلها



مياه ملوثة تعم الشوارع



ميادين تكسوها طبقة من المياه السطحية



الصورة تعبر عن حجم المياه المتدفقة



المياه السطحية تنتشر في المجاري بصورة واضحة



الصورة لا تحتاج الي شرح هي تعبر عن نفسها

العلاج والحلول الممكنة :-

لم تجري رياح التغير بما تشتهي سفينة النجاة عند اهل امدرمان ولم ترضي طموحات اهل المدينة القديمة بتاريخها وحضارتها حيث لم تجد الاهتمام من قبل الجهات المسئولة ولم ياتي الاهتمام بحجم الضرر الذي استفحل واصاب قدر كبير من تلك المدينة.

ان حجم المشكلة اكبر من ان يقابل بهذا القدر من التجاهل واللامبالاة التي زادت من توسع الرقعة الجغرافية واستشراء المرض بصورة اكبر من تصور كل خيال.

فالمشكلة اكبر من ان تعالج بالمجهود الشعبي والحلول الفردية فحسب بل يجب ان تتكامل المجهودات الشعبية مع الجهات الحكومية التي لا نبرئها من تحمل المسؤلية امام الله ومن ثم التاريخ والوطن .

اولاً: البحث عن حلول اسعافية لتخفيف الضرر واعانة الاسر المتضررة من انهيار بعض المنازل في الاحياء.

ثانياً: الاستعانة بجهات مختصة في مثل هذه المشاكل وان كانت خارج البلاد من بيوتات الخبرة والاستشارات .

ثالثاً: عمل دراسة شاملة عن المشكلة والتي تتمثل في معرفة البعد التاريخي لظهور هذه الكارثة.

رابعاً: الاستعانة بالمنظمات والجمعيات الشبابية ذات الخبرة في مثل هذه الكوارث.

هذا ليس الحل ولكن مجرد طرح لتوضيح حجم المشكلة

معالم تاريخية

امدرمان تنادي

مدينة تاريخية لها معالم راسخة على مر الزمن عرضة للانهيار والضياع، حيث نجد ان أسم (أم درمان) قديم وتفيد الرويات - كما أشار بذلك الدكتور (محمد إبراهيم أبو سليم) المؤرخ والوثائقي السوداني المعروف " أن الاسم يرجع إلى (عصر العنج) السابق لعصر الفونج وأن أكثر الأقوال رواجاً راجع إلى أمراة من بنات الملوك وكان لها ولداً أسمه (درمان) وكانت تسكن منزلاً مبنياً من الحجر ومحاط بسور متين ظلت أثاره ظاهرة حتى عهد قريب في منطقة (بيت المال) ".

وهنالك روايات اخري لم تسند الي مصادر معروفة بانها كانت هناك سيدة نوبية علوية (فالاسم نوبي علوي نسبة لمملكة علوة) تسكن في المشرع التجاري أو الموردة حالياً ولديها ابن يدعى (درمان) فكان الذين يفيدون للتجارة في هذه المنطقة يطلقون عليها اسم ام درمان (اي والدة درمان)تادباً وتقديراً لها فقد كانت امدرمان في تلك الفترة سوق صغير وملتقى لسكان غرب النيل

الذيـن ياتـون لبيـع وتبـادل بضائعهـم مـع سـكان شـواطي النيـل، وتكتـب أحيانًـا: (أمدرمـان) يقـال إنهـا محرفـة مـن (أم دآر أمـان) اي رمزيـة الي الـدار الامنـة أو بلـد الامـان. ونجـد ان كلتـي الروايـات تصـب في محيـط واحـد .



قبة الامام محمد احمد المهدي

ولكـن امدرمـان العاصمـة (البقعـة) ظهـرت مـع دولـة المهديـة وعندمـا سـقطت الخرطـوم عاصمـة العهـد الـتركي عـلى يـد الأمـام محمـد أحمـد المهـدي في ينايـر ١٨٨٥م وقتـل حاكـم السـودان آنـذاك غردون باشـا كان معسـكر المهـدى في إبي سـعد ورفـض أن يتخـذ الخرطـوم عاصمـة لـه بحسـبانها عاصمـة الـترك وقـد فضـل إختيـاره لموقـع أم درمـان ان تكـون هـي عاصمـة لـه واتباعـه ويرجـع القـول الى ان امدرمـان كانـت موجـودة

قبـل المهديـة ولم تكـن مـن تكويـن المهـدي والدليـل عـلى ذلـك هجـرة الامـام المهـدي اليهـا تيمنـاً بهجـرة الرسـول ﷺ مـن مكـة الي المدينـة المنـورة واطلـق عليهـا اسـم البقعـة (اي البقعـة المباركـة وهـي الجـزء مـن الارض الطاهـرة) وسرعـان مـا تحولـت امدرمـان مـن مـرسي وسـوق تجاري الي مدينـة انصهـرت فيهـا القبائـل والأجنـاس المختلفـة لتخلـق الانتـماء والقوميـة السـودانية حيـث اصبحـت نمـوزج للسـودان المصغـر تضـم كل أطيـاف وثقافـات المجتمـع السـوداني.



طوابي امدرمان وحصنها المنيع

ويوجـد بامدرمـان كثـير مـن المعـالم التاريخيـة التـي تمييـز المدينـة بتراثهـا الفـز وتاريخهـا القديـم، بالاضافـة الي المعـالم التـي شـيدت حديثـاً حيـث يوجـد بـأم درمـان المقـر الرئيـسي لإذاعـة وتلفزيـون جمهوريـة

السـودان ومبنـى البرلمـان والسـلاح الطبـى، كـما يقـع جنوبهـا مطـار الخرطـوم الـدولي الجديـد و مسـجد النيلـين العريـق، والـذي افتتـح في آخر ثـورة مايـو في عهـد الرئيـس الأسـبق (جعفـر محمـد نميري) والـذي يعتـبر



مسجد النيلين عند مدخل مدينة امدرمان

مـن معـالم السـودان المميـزة مـن حيـث الموقـع والتصميـم، فقـد تـم بنـاء المسـجد عـلى شـكل صدفـة عملاقـة عنـد ملتقـى النيلـين الأبيـض والأزرق ، (علـما بـأن الفكـرة والتصميـم كانـت مـشروع تخـرج لطالـب مـن كليـة الهندسـة والمعـمار بجامعـة الخرطـوم في منتصـف السـبعينيات وكان هـذا المبنـى أول مبنـى يشـيد في السـودان مـن قواطـع الألمنيـوم وبـدون أعمدة رفـع إذ يتصـل السـقف بـالأرض مبـاشرة تمامـا كالصـدف)[١].

١ مصطفى نور الإسلام ، موقع موسوعة التوثيق الشامل

كما توجد على شاطئها إلى اليوم الطابية وهي عبارة عن قلاع أرضية قصيرة من الأحجار الصلبة كان يحتمي بها قناصة جيش المهدي ومدفعيتهم لصد اى هجوم من جهة النيل، وتوجد بها ايضاً مجموعة آثار مثل بوابة عبد القيوم «وهي عبارة عن بوابة لدخول أم درمان» في الفترة ما بين ١٨٨٥م والى ١٨٩٨م وما زالت موجودة من الناحية الجنوبية للمدينة.



بوابة عبد القيوم مدخل مدينة امدرمان الجنوبي

وكذلك متحف بيت الخليفة؛ وهو البيت الذي كان يقطن به الخليفة (عبد الله التعايشي) كما كان وبه آثار قديمة تعود لعهد المهدية منذ بداية الثورة. والذي اصبح وجهة لكل الزوار والسُياح عند اتاحة الفرصة لزيارة السودان.

أم درمــان بطابعهــا السـياسي كانــت الأكــثر تأثــيرا عــلى مجريــات الأحــداث في الســودان فقــد ضمــت ام درمــان معظــم القــادة والزعــماء والرمــوز الذيــن تركــوا بصــمات واضحــة في الحيــاة السياســية الســودانية وفي صفحــات تاريــخ الســودان المعــاصر.



متحف بيت الخليفة عبد الله

كــما خرَّجــت امدرمــان أجيــال مــن الساســة مــن مختلــف الاتجاهــات وأعــلام مــن المشــائخ ورواد العمــل الوطنــي ورائــدات العمــل النســوي وأنجبــت المئــات مــن القــادة في مختلــف المجــالات (حيــث لايتســع المجــال لذكرهــم) وهــم الرمــوز الذيــن أسســوا للنهضــة السياســية في البــلاد وخلــدوا بمواقفهــم أعظــم ســير العطــاء وان اختلفــت الاتجاهــات والمســارات وتباينــت الاراء.

ومـن الناحيـة التجاريـة فـإن أم درمـان تعـج بالأسـواق المليئـة بالسـلع المختلفـة التـي ترسـل إلى كافـة بقـاع السـودان (مـن الأسـواق بامدرمـان : سـوق ام درمـان الكبـير - سـوق امدفسـو - سـوق ام سـويقة - سـوق الطواقـي - سـوق العناقريـب - دلالـة الشـهداء والتـي تحولـت الي موقـف عـام للمواصلات - سـوق ليبيـا - سـوق الفـراد - سـوق الصيـاغ - سـوق الدباغـة - السـوق الشـعبي ام درمـان - السـوق الجديـد - سـوق



دار الرياضة امدرمان الصرح الرياضي

الشـجرة (سـابقاً) بالاضافـة الي مجموعـة مـن الأسـواق المغلقـة والمحـلات التجاريـة).وبهـا مجموعـة مـن المصـارف التجاريـة والفنـادق.

امـا مـن ناحيـة الرياضـة فهنالـك العديـد مـن الانديـة والفـرق الرياضيـة المعروفـة ولهـا تاريخهـا، وتضـم امدرمـان اول إسـتاد ريـاضي في

السـودان وهـو (دار الرياضـة) وموجـود جنـوب امدرمـان ويمـارس نشـاطه الريـاضي بجـد واجتهـاد.

ومـن الموسـف حقـاً ان كل هـذه المعـالم التاريخيـة في مدينـة امدرمـان والاثـار القيمـة معرضـة للانهيـار بفعـل تـسرب الميـاه اليهـا والضيـاع اذا لم تكـون هنالـك يـد تحميهـا وتصونهـا مـن التلـف والانهيـار كـما حـدث لبيـوت واهـل المدينـة مـن ضيـاع في الوقـت الـذي يسـعي كل العـالم الي الحفـاظ والبحـث عـن الـتراث والمعـالم التاريخيـة بـل الحفـاظ عـلى المـدن الكبـيرة والتقليديـة.

نأمـل ان تجـد أذن صاغيـة وعـين سـاهرة ويـد امينـة تصـون هـذا الارث وهـذه الامانـة التاريخيـة حتـي يسـتفيد منهـا باقي الاجيـال القادمة وربطهـم بماضيهـم حتـي يتطلعـوا الي مسـتقبل مـشرق وغـدٍ واعـد.

اقوال الأُدباء

ظلت مدينة امدرمان تلك الأنثى الفاتنة التي أصبحت ملهمة العشاق والشعراء والأدباء وخصوصاً من أبنائها وغيرهم الذين تشربوا من أدبها حيث لم تبخل أقلامهم وقريحتهم الشعرية عن تصوير ذلك العشق والحب العذري بشتى أنواع التعبير فانشدوا وكتبوا عنها الكثير من الأشعار والأدبيات.

وفي حقبة ما قبل الاستقلال وبعده أصبحت امدرمان وطنا للمطربين والشعراء والمنشدين فانتشرت أغنية الحقيبة والأغنية الحديثة وتباري الشعراء بالقصائد والكلمات فأثروا الساحة الفنية والثقافية وبرز شعراء شعبيون شكلت كلماتهم وإبداعاتهم وجدان قطاع كبير من أهل السودان.

وكان لشعراء الحقيبة (فترة زمنية انتقل الغناء من شكل غناء الطمبارة الي غناء الحداثة) القدح المعلي في ازدهار الغناء السوداني فأصبحت امدرمان بؤرة للنشاط الفني وتقاطر مبدعو الحقيبة من كل أنحاء السودان إلي المدينة التي شكلت أحيائها

دعوا
امدرمان تغني

مـسرح الهـام ومكمـن عشـق لكثـير مـن الشـعراء والمطربـين فتغنـوا باسـماء مناطهـا مثـل (بـدور القلعـة وظبيـة المسـالمة) فسـطع نجـم كوكبـة منهـم حيـث لا مجـال لذكرهـم جميعـاً ولكـن سـوف نذكـر بعـض النـماذج عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر.

لا تذكـر امدرمـان في مجـال الفـن والغنـاء الا ويكـون (خليـل فـرح) حـاضراً في مـسرح الغنـاء السـوداني والاغنيـة الامدرمانيـة فاكـثر مـن كتـب عـن امدرمـان ونظـم فيهـا واجـاد وصـور عشـق الوطـن بصـور ابداعيـة لم يسـبق لهـا مثيـل فكتـب فيهـا الكثـير ولكـن اروع ماقـال :

ماهـو عـارف قدمـو المفـارق   يـامَحـط آمـالـى السـلام
ويْـحَ قـلبى المـاإنْفـكّ خافـق   فـارق أم درمـان بـاكـى شـافـق
يـا أم قبـائل مافيـك منافـق   سَـقى أرضِـك صـوب الغـمـام
ياجميـل يانـور الشـقـايق   أمـلأ كـاسَـك وأصبـر دقـايق
مجلسَـك مفهـوم شـوفو رايـق   عِـقـدو ناقـص زول والـلاّ تـام ؟
فى سَـموم الصيـف لاح لُـو بـارق   لـم يَـزل يرتـاد المَشـارق
كان مـع الأحبـاب نجمـو شـارق   مـالُـو والأفـلاك فـى ظـلام
مـن علايـل أب روف للمَـزالـق   مـن فِتـيـح للخـور للمغـالـق
قـدْلـه يامـولاى حـافى حـالِـق   بـالطـريـق الشـاقـِّى التُّـرام
الحـبـايـب لـفـتـو الخلايـق   بيـنى بيـنهم قطعـو العلائـق
كان دلال كان تيـه كلـو لايـق   نحـن مـا مليـنـا الخصـام
يـادهـر أهـوالَـك تـسـارق   فيـهـا كـم شـابـت مَفـارق

ماعلينا الفات كلو فارق — رُقنا والّلا نعيد المَلام
يابريد الجو فوقى حالق — مِيل على الروح ليها خالق
عُدتَ سالم قول وإنت عالق — مقرن النيلين كيلو كام ؟
فى يمين النيل حيث سابق — كنا فوق أعراف السوابق
فى الضريح الفاح طِيبو عابق — السلام يالمهدى الأمام
من حُطامك أنا غصنى وارق — فيِّى شن أبقيت للطوارق
غير قليباً فى همومو غارق — ولساناً يَرُدُ الكلام
يابلادى كم فيكِ حاذق — غير إلهِك مافى رازق
مِن شعارو دخول المآزق — يتفانى وشرفِك تمام
مسرح الغزلان فى الحدائق — والشوارع الغُر والمضايق
قول لى كيف أمسيت دُمتَ رايق — دام بهاك مشمُول بالنظام
مجلس اللذات فى النمارق — والترف لازال وصفو خارق
ضارى حِسَّك فاح جانا مارق — والّلاّ قاطعو الريح ماهو لام
أين منى الودّعتو شاهق — باكى ناهِد لسَّع مُراهق
عينى مابتشوف إلا شاهق — أين وجه البدر التمام
أين منى الفى زهْوُه باسق — فى شبابو نقى من مفاسق
بين ثيابو البِيض المناسق — حولك أشبه رتل الحَمام
مايئسْنا الخير عُودو سايق — الحى يعود إن أتى دونو عائق
إلى يوم اللِّقا وإنت رائق — السلام ياوطنى السلام

اما الشاعر الكبير عمر البنا قد جسد عشقه الي المحبوبة امدرمان من خلال البقاء بها طول الوقت حتي انه لا يستطيع على تحمل نار فراق ارض امدرمان ولو لحين معبراً عن ذلك في قصيدة بعنوان (امتي ارجع لمدر واعوده) ومطلعها:

امتى ارجع لى ام در واعوده
من يوم وضوعها الفى الخير خلوده
اشوف نعيم دنيتي وسعوده
فاتنة طايعها و جلوده
امتى ارجع لى ام در واعوده
ابواب لقاها ام خدود موصوده
امتى تلمع بروق رعوده
ونار العذاب فى الفؤاد محصوده
حظوظي تنجز لوعوده
غير محاسنك مين يسوده
روحي ضاعت فى النار قعوده
الملوك وياسر الاسوده
لى هون يا ربي عوده
يا المن فراقك ايامي سوده
اشوف حبيبتى وانظر خدوده
خلاف وصالك دايما كسوده
عساها ترحم تكون ودوده
هناى ومنية روحي ومقصوده
ومسامعي تسكر من ردوده
اشوف رشيم يضوي بين فصوده
وتطفى ناري الفاتت حدوده
الفضل الحاج البشير
اشواق كتيره الدموع شهوده
مشرف منتدى الشعر
وللمنام العيون زهوده
مشرف منتدى الشعر
فى الهجر روحي ضاع مجهوده
لم تزل حافظه لعهوده
ما كانو يعرفو ناس بلوده
الغرام من قبال ولوده

هـذا جانـب مـن مـا كتـب مـن اشـعار في حـب امدرمـان في فـترة زمنيـة ازدهـرت فيهـا امدرمـان بالفـن والابـداع فقـد جعلـت حتـي الذيـن لم يكونـوا مـن مواليـد تلـك المدينـة الا انهـم قـد ربطهـم بهـا ربـاط وثيـق حتـي انهـم فاقـوا اهـل امدرمـان في التصويـر وتسـابقوا في التعبـير فكانـت «مـن امـدر ياربـوع سـودانا» للشـاعر (احمـد عمـر الرباطـابي) وكلـمات شـاعر الحقيبـة (محمـد عـلى عبـد اللـه االامـي) الـذي كتـب قصيـدة «طريـت امـدر مقـر امـلي» والتـي مطلعهـا

هواك وهواى بى جاروا وسبن أفكارى نظراتك

أحب تعطف تزيل وجدى واحب كل البحب ذاتك

الي اخر القصيدة التي يذكر فيها

حمام الأيك حن مره تعال أسمعنى نبراتك

طريت أم در مقر أملى زمان كفاى عباراتك

وكذلـك الشـاعر الكبـير (محمـد ود الرضي) شـاعر منطقـة العيلفون الـذي كتـب قصيـدة «ملـوك امـدر»: والتـي مطلعهـا :

الليلة كيف أمسيتو

ياملوك امدر يبقي لينا نسيتو

وهنالـك الكثـير مـن الذيـن لم يسـعفنا ذكـر اعمالهـم فمنهـم الكثير مـن تغنـي شـعراً في حـب امدرمـان ومـا ذكـر الا نمـاذج تعـبر عـن هـذه المحبـة وهيـام العاشـقين بهـا. (ولهـم العتبـى حتـي يرضـوا).

امـا مـن شـعراء العـصر الحديـث فقـد كتـب عنهـا الكثـير مـن ابنائهـا والذيـن لا ينتمـون اليهـا واحبوهـا ويشـاركون اهلهـا ذلـك العشـق

ويقـول سـيف الديـن الدسـوقي وهـو مـن ابنـاء حـي العـرب في قصيدتـه (زمـن الافـراح الورديـة) كلـمات تعـبر عـن مـدي عشـق امدرمـان فيصـور عشـقه اليهـا بانـه عشـق كل السـودان كلـمات القصيـدة:

كلماتى.. ..يا زمن الأفراح الورديه ...
فى ماضى الأيام القاسية المرّه
كلماتى تعبر موجات البحر وتصل إليك
وتحط على فرعٍ فى حقل فؤادكِ
بين يديك وتقول :أنا أهواك
أحببتك حين الحب بأرضكِ غير مباح
ممنوعٌ بالقانونْ
ممنوعٌ يا سمراءُ لأن الحب هناك جنونْ
وأنا مجنون تعرفنى كلُّ الأشعار
يعرفني الليلُ المسدلُ سترتَهُ
وشقاءُ الفنِ وكلُّ نهار
لا أُحْسِنُ أن أبقى من غير الحب
والحب حرامٌ فى الصحراء ...
وأنا يا أنتِ أيا سمراء
إحساسى لا يعرف طعم المال ولا البترول
الشاعرُ يسمعُ صوتَ الحُسْنِ
ويُحْسِنُ كُلَّ فنون القولْ
لكنْ أن يحيا فى أرض جفافْ

أنْ يصنعَ أعصاباً من ألياف
لتكونَ مكان الحِسِّ على الإنسانْ
فمحالٌ ذلك ليس من الإمكانْ
ولذلك حينَ عبرتُ البحر إلى السودانْ
غنّيتُ سعيداً كالأطفالْ
ونسيتُ حلاوةَ طعم المالْ
ورجعتُ أغرّد بالأفياءِ بكل مكانْ
وركعتُ أقِّبلُ أم درمانْ
هذى العاصمةُ الأنثى
أهواها مذ كنتُ غراماً فى عينىْ أمى وأبى
وحملتُ الحبَّ معى بدمى
فى رحلة هذا العمرِ
وأحْمِلُهُ حتى ألقى ربى
كلماتى يا زمن الأفراح الورديه
عبرت موجات البحر لتصل إلأيك
لتقول: أنا مشتاق
لِتُطِلَّ قليلاً فى عينيكْ
ولتحملَ عذرى فى سفرى
فأنا يا سمراءَ الصحراء....هذا قدرى
إما أعشق أنثى عاصمةً
تلك المحبوبة أم درمان

كذلـك ابـدع واجـاد في حـب امدرمـان واهـل السـودان قاطبـة الشـاعر الكـبر (عبـد المنعـم عبـد الحـي) في قصيـدة تغنـا بهـا وصـدح الفنـان (احمـد المصطفـي) ابـن منطقـة الدبيبـة والتـي مطلعهـا:

انا امدرمان
فما نيل المطالب بالتمني
انا امدرمان تأمل فى ربوعي
تجيش النفس بالامال لكن
انا السودان تمثل فى نجوعي
ولكن .. هذه لما لا تدعني
انا ابن الشمال سكنه قلبي
انا امدرمان مضى امسي بنحسي
على ابن ا لجنوب
غدا وفتاى يحطم قيد حبسي
ضميت ضلوعي
واخرج للملاء فى ثوب عرسي
انا امدرمان سلوا النيلين عني
وابسم بعدما قد طال عبسي
وعن عزمات فتاى عند التجني
واعلن و الفضاء يعلن همسي
فخير بنيك يا سودان مني
واهتف و الورى يعرف حسي
سلو الحادي
فيا سودان اذا ما النفس هانت
سلوا الشادي المغني
اقدم للفداء روحي ونفسي
انا امدرمان اذا ما قلت اغني

وكذلـك صـور لنـا الشـاعر (الفاتـح حمتـو) لوحـة فنيـة تعـبر عـن مكنـون عشـقه وهيامـه وافتتانـه المبالـغ في تجسـيد اروع الصفـات التـي يمتـاز بهـا اهـل تلـك المدينـة والبقعـة الطيبـة المباركـة فـكان مـا يرسـم لنـا مدينـة افلاطـون الفاضلـة فنسـج ابيـات قصيدتـه والتـي يقـول فيهـا:

عشقنا ترابا يا سودان
زرعنا أمامنا في الأركان
رسمنا حروفا بالألوان
و كنا وكانت أم درمان
عزيزة و غالية يا أم درمان

شعار شلناهو جيل عن جيل
شعار ما بقبل التأويل
سلام ممزوج بموية النيل
بنور قرآنا و الإنجيل

كتبنا فصولو في أم درمان
بديتي الوحدة بالأرحام
و كنتي منارة الإسلام
قبايل نحن عشنا كرام
مع الأقباط هنود و شوام
قسمنا اللقمة في أم درمان
و نهر النيل سعيد لاقاك
وكان يا أم در بدايتو معاك
نتوه في الدنيا ما بننساك
و نرجع تاني ليك نرعاك

نصون العشرة يا أم درمان
شتات الفرقة طعمو مسيخ

أريت لو يرجع التاريخ
تقيد نيرانا قبة و شيخ
هلالنا يعانق المريخ
نقول للدنيا دي أم درمان
تكون جلستنا جنب النيل
تدق النوبة حمد النيل
نشيل ألواحنا للترتيل
و نمشي هناك نقيم الليل
نضوق العافية في أم درمان
حضنتي خليل وود بطران
وفيكي كرومة عاش فنان
طربتي مع الأمين برهان
و صوتك عم كل مكان
إذاعة تقول هنا أم درمان
سلام للرقدو في البكري
أمان في شرفي من بدري
تروم ارواحنا ما بندري
و ريدتك في العضام تسري

محبة شديدة يا أم درمان
سلام يا أم در عظيمة الشان
سلام يا أم در أرض شجعان
سلام يا أم در كرم حيشان
سلام يا أم در عشا الضيفان
سلام يحميكي يا أم درمان
سلام ينجيكي يا أم درمان
سلام يا درة السودان

امدرمان لم تكن مجرد مدينة او سكن بل هي سكينة وطمأنينة في القلب لذلك عشقها كل من تربى في حواريها وذكر ذلك خليل فرح حينما شأت الظروف ان يغادر مدينته المحبوبة متوجها الي القاهرة بغرض الاستشفاء من داء الصدر فذكر في قصيدته التي ذكرت سابقاً وصف تلك الاماكن (من علايل ابوروف للمزالق ومن فِتِيح للخور للمغالق) تصوير بديع في البكاء على اطلال امدرمان عند فراقها.

فكانت تلك نماذج من عشق تلك المدينة امدرمان والتي عبر كل واحد منهم عنه بابداع متكامل يصور مكانة المعشوق ومدي التفاني في هذا العشق .

هنالك الكثير من الذين كتبوا عن امدرمان ولا يفوتني ان اذكر (على المك والطيب ميرغني شكاك) واخرين كُثر من لم تسعفني الذاكرة في ذكر اسمائهم فلهم جميعا العتبي والرضاء وكل الاحترام.

خاتمة المطاف

امدرمان تودع

في خاتم القول نجد أن امدرمان بتاريخها ما ذكرنا منه وما لم نذكر وثقافتها ومجدها الماضي والحاضر بل مستقبلها ورغم ما قدمت وما سوف تقدم من عطا وخير وعلم وثقافة وأدب وفنون ورياضة وصناعة إلي كل السودان وأهله، تتعرض لانهيار وتشريد وضياع ويعيش أهلها على كفاف الحياة وبؤس الحاضر وضياع المستقبل.

امدرمان تنادي بأعلى صوتها فهل من مجيب فهي تستنجد من طوفان جارف قد أصابها في خاصرتها من الجهة الشرقية وامتد إلي كل أجزائها لتجد كل المدينة عرضة لغرق في بحر من ماء تتسرب من تحت باطنها لم نجد لها منبع أو مصدر.

امدرمان أصيبت في أبنائها الذين سعوا في الأرض لكسب العيش والمال الحلال فهجروها وهاجروا منها حينما ضاقت بهم السبل حاملين حقائبهم معبأة بالشوق والحنين وبين ضلوعهم قول الشاعر احمد شوقي:

بلادي وإن جارت على عزيزة .. وأهلي وإن ضنوا على كرام

فهو ملاذهم الأمن من لفح الغربة وهجر الوطن والبعاد عن الأهل والأحباب، وحين تشتد بهم نار الشوق يستجيرون بكلمات شاعر امدرمان عمر البنا (امتي ارجع للمدر وأعوده) ولكن رغم ذلك فهم يحملونها في حدقات العيون, فأبناء امدرمان في المهجر لهم دور كبير في الوقوف بجانب أهلهم في ارض الوطن فهم أهل للخير والعمل الصالح والسند والركيزة في وقت المحن.

إن ما تعانيه امدرمان ليس بمعزل عن ما يعانيه أهل السودان فحن لا نعيش في كوكب أخر نحس ما يحس به أهل الوطن من الم, لان امدرمان هي بؤرة السودان وهي نموذج للوطن الموحد وما يجب أن يكون عليه السودان والتي امتزجت فيها كل الأعراق والأجناس من كافة بقاع السودان فانصهرت واندمجت فصاروا كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

استطاعت امدرمان منذ تكوينها نبذ العنصرية البغيضة والجهوية والتفاخر بالعرق أو الجنس ونجد كل أصناف البشر يتعايشون في سلم وأمان وان اختلفت الديانات والمذاهب والألوان فهي خليط من بني البشر يحكمهم الدين ويزجرهم المجتمع الذي يعيشون فيه, فالغريب مرحب به وسطهم حتي تحسبه واحد منهم وبذلك شكلت امدرمان الهوية القومية للوطن الواحد.

بدل من البكاء على أطلال المدينة والنحيب على ما أصابها لابد من اخذ موقف جاد نسعى من خلاله فك طلاسم المشكلة

وجذورهـا بـل يجـب علينـا أن نقـف وقفـة واحـدة مـن جميـع ابنائهـا واهلهـا وسـكانها في الداخـل والخـارج مـن اجـل البحـث عـن الحـل المنشـود لهـذه المعضلـة التـي شردت الاسر والاهـل مـن ديارهـم.

امدرمـان لا تطلـب رغـد مـن العيـش ولا قصـور فخمـه بل دعـو لنا امدرمان تغني أنشودتها ولحنها الطروب وتشدوا بصوت الموصلي.

فمدينتنـا جمالهـا في أهلهـا لا في قصورهـا ورياضهـا الغنـى فهـي لم تتزيـن حلـة مـن المعـمار العـصري ولكـن نفـوس اهلهـا الطيبـة كانـت هـي رمـز الجـمال وسـحرها الفتـان.

الخلاصة

نخلص إلي أن امدرمان تواجه مشكلة وكارثة حقيقية ربما تؤدي إلى تفاقم الوضع حتى الخروج عن السيطرة إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة وفي الوقت المناسب من خلال دراسة اصل المشكلة وعمل تحقيق شامل لتوضيح الحقائق الآتية:

أولا : هل هي كارثة طبيعية من ضمن الكوارث التي تنتج عن غضب الطبيعة وتجور بها على بني الإنسان وتسبب أضرار؟ كما يعتقد البعض من أهل المنطقة أنها مياه جوفية طفحت إلي سطح الوجود ربما نتيجة زيادة منسوب أبار الصرف الصحي (السايفن) في المنازل.

ثانياً: أم هي كارثة صناعية أو مصطنعة ربما من بنت أفكار بني البشر بغرض تغير جغرافيا وديمغرافيا المنطقة لما لها من خصوصية سياسية واجتماعية أيضا لتحيق ومكاسب سلطوية أو مأرب آخري؟ كما يزعم البعض الأخر من أهالي المنطقة بأنها نتيجة انفجار شبكة المياه (مياه الشرب) القديمة والتي لم يتم معالجتها بالشكل الصحيح قبل

تحديث وتوصيل الشبكة الجديدة
كذلك يجب للإجابة على كل الأسئلة العالقة في أذهان المواطن المنكوب وابدأ حسن النوايا من الجهات المسئولة خلال الاستعانة بالمختصين في هذا المجال معي السعي الجاد في إيجاد الحل الشامل.

وثمة سؤال يطرح نفسه ما هي الحلول الحالية الممكنة؟ والخطط الاسعافية لتخفيف وطأة المأساة؟ في ظل غياب وتجاهل تام من السلطات المختصة والمسئولين.

ومن يجب على هذه الأسئلة هو إيجاد الحل ودراسة اصل المشكلة

امدرمان يا روعة

ام در يا روعة بلادي
انا من صغير ..
في قلبي ليك الشوق بنادي
من مراكب ابوروف للطوابي
ومن فرح الخليل الطرفه نادي
يا درة بلادي
ويا جرت لوحي ومدادي
حبي ليك اصبح ما اعتيادي
لما ارحل بعيد !
قلبي يهتف بالشوق ينادي
ولما ابق قريب!
وافكر في الرحيل من تاني
تعاودني العبرة واتوسد سهادي
يا روعت بلادي
الغريب ... ود الغريب
كل المدن منك تغير
لانو الحسد فيك شي مستحيل
طيبت اهل .. وعزة رجال
وجمال فطري واصيل
فيك الوجوه ديمه نايره
يا ام كل المداين
يا منظر بديع للزول البعاين
يا مرتع صباي .. ومهد اولادي
يا روعت بلادي
انت فيك كل الروائع

ادب ، وتقافة ، وفنون
ورياضة ، وتجارة ، وصنائع
ونيل وطوابي
وقوات عنك تدافع
تدمر كل البعادي
ليك يا روعت بلادي
يا أخواني ..
كيف اقدر اوصفه
ودي الكلمات لا يمكن تنصفه
الطيور في نيلها ديمه مرفرفه
وناس طيبين أحاسيسهم مرهفه
وحسان زاهيات بثوب المعرفه
بس قولوا لي كيف اقدر انصفه
دي ما ام در روعت بلادي
لحد اهلي ومجد اجدادي
وعزة فرح الخليل الصادي
اصلي ما بنساها
مهما طال ابتعادي
لانوا حبها في فؤادي
هو أللباقي .. وهو البنادي
عشت يا صفوت ودادي
ودمت يا روعت بلادي

على النور على
١٤ نوفمبر ٢٠٠٠

امدرمان

مدينة تحت الماء .. اني اغرق

هذا العمل مجاناً اهداء الي كل أهل امدرمان

الشكر بعد الله الي كل من ساهم في هذا العمل

بصورة مباشر او غيرة مباشرة

تصميم وتنفيذ واخراج فني

على النور على

للتواصل : عبر الايميل

alinamco@gmail.com



الجريفاوي للاعلان والتسويق

Al-jrefawy for ADV & Marketing

